

بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة الإسلامية - الدرس : ١٦ - الوصول للإيمان بالله : دليل الإتيان في الكون

٢٨-١٢-١٩٨٦

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الأدلة على وجود الله:

١- دليل الإتيان في الكون:

اليوم درسنا في العقائد الدليل الرابع على وجود الخالق سبحانه وتعالى وهذا الدليل عنوانه دليل الإتيان في الكون، ما من صناعة ترونها أنتم إلا وفيها تقصير سواء أكانت على مستوى آلات أو على مستوى أقمشة أو صناعات خفيفة أو ثقيلة فلا بد من خلل و خطأ و تقصير، ولا بد من زيادة، لكنك إذا رأيت شيئاً لم تكتشف فيه ولا غلطة ولا خللاً ولا اضطراباً بل اتقاناً ما بعده إتقان تشعر أنك معجب إعجاباً لا حدود له بصانع هذه الآلة، عندئذ ألا تعتقد أن لهذه الآلة صانعاً فحسب، بل صانعاً من أعلى درجة، مستواه في الصناعة عالٍ جداً، وذوقه رفيع جداً، و دقته في التركيب بالغة جداً، فربنا عز وجل يقول في القرآن الكريم:

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

(سورة النمل الآية: ٨٨)

قال تعالى:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾

(سورة الملك الآية: ٣)

بعضهم فسر هذه الآية أنه ما ترى في خلق الرحمن من اختلاف، لا، هناك اختلاف النملة كالحوت، والذرة كالمجرة، هناك اختلاف كبير في الحجم وفي الأشكال وفي الألوان وفي الوظائف، ما أوسع التفاوت في خلق الله عز وجل ! فكيف يقول الله عز وجل:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

(سورة الملك الآية: ٣)

كيف ذلك؟ فسّر هذه الآية المفسرون بأن مستوى الصنعة من أعلى درجة في الإتقان، فإتقان النملة كإتقان الحوت، وإتقان الذرة كإتقان المجرة، وإتقان العصفور كإتقان الحشرة، ولا ترى في خلق الله عز وجل خلقاً مستوى الإتقان فيه من الدرجة الثانية.

أي معملٍ إلا و يقول له: هذه البضاعة من الدرجة الأولى، وهذه نخب ثانٍ، وهذه بضاعة تجارية، وما من صناعة إلا ولها درجات، أما الله سبحانه وتعالى كل شيء خلقه في الكون وفي الأفلاك وفي المجرات وفي الكواكب وفي الأقمار وفي الأرض وفي باطن الأرض والذي على سطح الأرض، وفي عالم الأسماك و الطيور و الحيوانات و النباتات و الإنسان و الجن و الملائكة قال الله:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

(سورة الملك الآية: ٣)

كل خلق الله عز وجل درجة الإتقان فيه أعلى درجة وكل هذه المخلوقات من مستوى واحد من حيث الإتقان.

خلق الإنسان، هذه القناة الدمعية من الدقة بحيث يصعب تصورها، ومع ذلك تُصرف فائض الدمع إلى الأنف، الأنف بحاجة إلى رطوبة دائمة لأن الأنف عبارة عن سطوح متداخلة محاطة بطبقة لزجة تحتاج إلى ترطيب دائم من أجل أن تصطاد الأجسام الغريبة العالقة في الهواء، و أعلى جهاز تصفية في الأنف سطوح متداخلة مطلية بمادة مخاطية مرطبة بدمع العين، فيها أشعار وشرابين وهذه المنطقة ذات عضلات بحيث تتوسع إذا بردت، فإذا برد الطقس ترى الأنف أحمر قانياً بدليل توسع الشرايين من أجل رفع درجة الحرارة، ومن أجل أن تأخذ الهواء من هنا بحرارة تعادل الصفر ويصل إلى أول القصبتيين بحرارة تساوي ٣٨ درجة بمسافة قصيرة، أرقى جهاز تسخين.

إدارة الكون وتنظيمه تؤكد على أن هناك صانع حكيم:

هذا الدماغ، إتقانه إلى أقصى الحدود أي أربعة عشر مليار خلية سمراء للمحاكمة والتخيّل والتصوير والذاكرة ومركز للسمع وآخر للبصر وثالث للحركة ورابع للتوازن عالم قائم بذاته، وهناك عمى يصيب دماغ الإنسان والعين سليمة مئة في المئة، لكن مركز الرؤية في الدماغ يتعطل، أربعة عشر مليار خلية

سمراء في الدماغ تستند إلى مئة وأربعين مليار خلية استنادية لم تُعرف وظيفتها حتى الآن، والشيء المدهش أن خلايا الدماغ بل أن الخلايا القشرية في الدماغ مستعصية على مرض السرطان لم يسجل الطب حتى الآن حالة ورم خبيث في هذه المنطقة، لأن هذه المنطقة منطقة المحاكمة والتفكير، فربنا سبحانه وتعالى كرمها وشرفها وحصنها، وهذا الدماغ حساس إلى درجة قصوى لا بد من أن يُحاط بسائل، و هذا السائل يقيه الصدمات، فأية صدمة تصيبه توزع على مُجمل مساحته، من جعل هذا الترتيب؟ و من جعل هذه الرقبة تدور ١٧٠ درجة؟ ومن جعل هذا الدماغ في هذه الحجرة المحصنة؟ ومن جعل هذه الحجرة ذات مفاصل مكسرة ثابتة؟ لو أن هناك صدمة عنيفة أصابت الدماغ فهناك مجال لتدخل هذه السطوح أقل من ميلي واحد، وهذا المجال يمتص الصدمة قال تعالى:

﴿ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: ٨٨)

ومن جعل هذه العين وفيها هذه الأعصاب مئة وثلاثين مليار عصية ومخروط في شبكية العين؟ ومن جعل شبكية العين تتحسس بالخيالات التي تقع قبلها فترسل إلى الدماغ أمراً إشعاراً بذلك؟ الدماغ يرسل أمراً إلى الجسم البلوري بالضغط حتى يقع الخيال على الشبكية من أجل أن تكون الرؤية صحيحة، فإذا وقع الخيال خلف الشبكية أعطت أمراً إشعاراً آخر للدماغ بحيث يأمر الجسم البلوري بالتطاول كي يقع الخيال على الشبكية، من أنتقن هذا الصنع؟ الله سبحانه وتعالى.

من جعل هذا اللسان جهازاً للذوق وجهازاً للنطق و الهضم؟ قال الله:

﴿ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: ٨٨)

ومن جعل هذا المفصل في هذا المكان بالذات؟ من جعل هذا المفصل إنسياً وجعل مفصل الركبة وحشياً؟ من جعل هذه العظام الثمانية بحيث تتحرك اليد في كل الاتجاهات؟ ومن جعل هذا الجلد مخططاً كي تمسك به كل شيء؟ من جعل هذه الأظافر؟ ومن ألغى أعصاب الحس منها كي تقصها في البيت من دون مستشفى ومن دون عملية جراحية و من دون تخدير؟ من جعل في الأسنان أعصاباً حسية بحيث لو أن نخرأ أصاب بعض الأسنان لا تنام الليل من أجل أن تبادر إلى معالجته، وإلا يظل النخر قائماً فيه إلى أن تأكله مع الطعام وتفقد أسنانك كلها؟ ومن جعل هذا الجلد؟ و هذه العضلات؟

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ ﴾

(سورة الملك الآية: ٣)

هذا النخاع الشوكي خطير جداً أودعه الله داخل العمود الفقري، وهذا الرحم خطير جداً أودعه الله داخل الحوض، وهذا القلب خطير جداً أودعه الله داخل القفص الصدري، ومعامل الكريات الحمر خطيرة جداً أودعها الله داخل العظم في نقي العظام.

هل طراً على خلق الإنسان تعديل منذ أن خلقه؟ هذا الكبد الذي يقوم بخمسة آلاف وظيفة في أحدث البحوث العلمية من ممّا يستطيع مثلاً أن يحوّل الموادّ الدسمة إلى مواد؟ من جعل هذا العظم لو كُسر بعد أن نامت الخلايا وهجعت ثلاثين عاماً تستيقظ وترمم نفسها بنفسها؟ الله سبحانه وتعالى، هذا خلق الإنسان ومثله خلق الحيوان، هذا الصوص الذي يُخلَق داخل البيضة قبل أن يخرج منها يظهر له نتوء مدبب على منقاره يعينه على كسر البيضة، فإذا كسرها تلاشى هذا النتوء، من جعل الماء إذا تجمد يزداد حجمه لولا هذه الظاهرة لما كُنّا نحن الآن ولما بقي على وجه الأرض حياة؟ إنه الإتقان و الدرس اليوم ليس الحكمة بل الإتقان.

قد نجد الآن سيارة أو آلة من درجة عالية من الإتقان يقول لك: المبيعات لسنة محجوزة إذ عليها إقبال شديد لدقة الإتقان، ما من مصنع للسيارات إلا ويعدّل، التعديل دليل نقص، وكل عام يضيف تحسينات لم تكن موجودة من قبل، يُمَتَّن بعض الأماكن ويقوي بعض المناطق الضعيفة و يختبر سرعتها و ثباتها على الأرض ويزيد أو يقلل هذه التعديلات دليل النقص، لكن ربنا عز وجل خلق الإنسان متقناً في غاية الدقة، ولذلك قال العلماء: هذا الدليل اسمه دليل الإتقان أو دليل العناية، فإذا دخلت إلى بيت ووجدت إتقاناً في بنائه و تزيينه و في أثائه و فرشته هذا الإتقان ألا يجذب النظر؟ إتقاناً ما بعده إتقان

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾

(سورة الملك الآية: 3)

العلاقة المتباينة بين اسم الخالق واسم العزيز وأثرهما في الكون:

نحن بحياتنا اليومية نستنتج استنتاجات بأن لكل شيء متقنٍ صانعاً، كُنّا بالأول نتكلم على أن الخالق موجود، وهذا الخالق له أسماء حسنى صنعته من الإتقان بحيث لا يستطيع أن تأخذ عليه شيئاً، يلتقي اسم الخالق مع اسم العزيز ومعنى العزيز لا يُنال جانبه، ولو أنك تفحصت شيئاً ورأيت فيه عيباً لقلت لصانعه: انظر، تجد الصانع ينكمش ويتضاءل ويعتذر لك، لكنك إذا تفحصت غرفة نوم وفتحت أبوابها ونظرت إلى داخلها وفتحت الدروج ووجدت إتقاناً منقطع النظير تقول له: الله يعطيك العافية، لذلك عندما تكون الصنعة متقنة إلى أقصى الحدود تسكت، لذلك هو عزيز لا يُنال جانبه ولا يستطيع أحد أن يأخذ على صنعته مأخذاً ولا انتقاداً ولا غلطة، كل الذي خلقه عين الكمال وليس في الإمكان أبدع مما كان.

ترى الهر في المنزل، انظر إلى جماله وإلى عضلاته له شاربان يجعل في مقدمتها قضباناً مائلة تنتهي بضوء في الليل من أجل أخذ مجال مناسب في السير، حتى لو أنّ أحداً واجهه ليلاً يحدد له حجماً مناسباً للتلافي، وهذا الهر يمشي في الظلام ولا يحتاج إلى مشعرات، هذه الشوارب التي له طويلة ليعرف ما أمامه وما على جانبه وما على جانبه الثاني، شارباً الهر آية من آيات الله عز وجل. حدثني أخ كريم يعمل في الزراعة مختصاً بالمراعي قال: إن بعض النباتات الرعوية مركبة على حلزون مفرّغ، فإذا هبت الريح يدور هذا الحلزون في الأرض فينغرس فإذا انغرس أفرغت الثمرة بذورها في هذا الحلزون فنزلت هذه البذور إلى باطن الأرض، أي زراعة إلهية من دون أن تشعر، فهناك بذور طائرة لها أجنحة تنتقل من قارة إلى قارة قال الله:

﴿ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: ٨٨)

فعالم النبات شيء من العجب العجاب.

حدثني أخ نجار يعرف مئة نوع من أنواع الخشب، للنواذ نوع خاص خلقه الله عز وجل لا يتأثر بالماء والرطوبة والهواء والشمس، فخشب النواذ من الشوح، وخشب الأثاث من نوع آخر، و خشب أقلام الرصاص والكبريت من نوع ثالث، وخشب الزينة هو الأبيض المعرّق، وخشب الآلات لامتصاص الصدمات، كل نوع يناسب الوظيفة المعينة.

السماك جعل الله فيه أنبوباً مفرّغاً من الهواء تحت الحراشف فهذا جهاز الضغط، السمكة تعرف في أية لحظة أين هي من البحر وعلى أي ارتفاع أو على أي عمق فكلما غاصت في أعماق البحر زاد ضغط المياه على هذا الأنبوب، جهاز يشعر بمدى بعدها عن سطح البحر؟ فالسمكة متقنة جداً، فكيف تستطيع هذه السمكة أن تطفو؟ وكيف تستطيع أن تغوص في أعماق البحر؟ إنها تُصنّع الهواء من معدتها وتملأ به أكياساً تطفو، وتفرّغ الهواء فتسقط، والغواصة حينما صنعها الإنسان قلّد بها السمكة، من جعل لها هذه الزعانف؟ لها ثلاث وظائف زعنفه أداة توازن، وزعنفه أداة توجيه، وزعانف أدوات دفع كالمحرك تماماً، فهي أداة دفع وتوجيه وتوازن، فإذا تأمل الإنسان السمك، وتأمل الثمار و الأشجار يجد إتقاناً ما بعده إتقان.

الشيء الذي يجذب النظر أن ربنا عز وجل خلق التفاح ٣٠٠ نوع وهذا منتهى الإكرام و الإتقان، فنوع صغير سكري، و كبير شتوي أحمر اللون، وآخر لونه أصفر، ونوع هش، ونوع صلب، ونوع فيه حموضة قليلة، وآخر يُعمّر طويلاً فهي أنواع متنوّعة قال الله:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾

(سورة الملك الآية: ٣)

ليس هناك صنعة فحسب بل هناك صنعة متقنة إلى أعلى درجة في الإتقان، هذا الإتقان دليل وجود الله عز وجل ودليل أسماؤه الحسنی، فعقولنا ترفض رفضاً قطعياً أن يكون هذا الإتقان بلا إله عظيم عالم حكيم خبير عليم قدير رحيم متقن.

الأدلة الواردة في الكتاب في بيان صنع الله في مخلوقاته:

١- تفسير معاني الآية وربطها بالواقع:

﴿الْمَ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً * وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَاجاً * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾

(سورة النبا الآية: ٦- ١٦)

﴿الْمَ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَاداً﴾

(سورة النبا الآية: ٦)

يوجد أماكن بالقطر اسمها وعرو واللجاة في الجنوب والشرق كلها صخر فلو أن الأرض كلها هكذا نموت من الجوع، فإله عز وجل لحكمة بالغة ترك بعض الأماكن صخرية قربنا عز وجل قال:

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾

(سورة النبا الآية: ٨)

ذكراً وأنثى فلو أن الله خلق كل الناس ذكوراً أول شيء هل نبقى نحن موجودين؟ لا نجد أنفسنا إذ لا وجود لنا فينتهي النوع البشري، جهاز التناسل يسمونه جهاز حفظ بقاء النوع فلولا التزاوج لما بقي الإنسان قال تعالى:

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾

(سورة النبا الآية: ٨)

بل لو جعل المرأة غير محببة، فإله عز وجل جعل هذا الميل الطبيعي، قال الله:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْصَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ﴾

(سورة آل عمران الآية: ١٤)

لولا هذا الميل الطبيعي لما تزوج أحد ولأصبح الزواج عبثاً، ولولا هذا الشيء الذي جعله الله في قلب الرجل ولولا هذا الميل الطبيعي الذي وضعه الله في قلب الرجل ما تزوج إنسان قال الله

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾

(سورة النبا الآية: ٦-٩)

من الذي جعل النوم؟ يقول لك: تعبت اشتغلت طيلة ١٢ ساعة، نمت ثماني ساعات فاستيقظت مثل الحصان صحيح، هذه الأعصاب و هذه الخلية العصبية عبارة عن نواة واستطالة تتصل باستطالة أخرى وهكذا، فالخلايا العصبية عند النوم تتباعد فالسيالة العصبية الكهربائية إذا سارت تجد الطريق مقطوعاً وهذا هو النوم، فالله جعل ترتيباً رائعاً جداً، أما لو كان المنبه قوياً جداً إذا واجه إنسان ساقية لا يمكنه قطعها، أما لو يتبعه عدو يريد النجاة منه يقطعها بسبب الخوف الشديد، هذا الصوت إن كان مزعجاً جداً عندئذٍ هذه السيالة تفرز من خلية لأخرى فيصحو الإنسان، يستيقظ الإنسان على الصوت القوي ولو أنه قد نام الآن، اليقظة هي عملية اقتراب هذه الأعصاب وتباعدها النوم قال الله:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾

(سورة النبا الآية: ٨-١٠)

سترأ

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾

(سورة النبا الآية: ١١)

للعمل.

﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾

(سورة النبا الآية: ٩)

سبع سموات طباق.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾

(سورة النبا الآية: ١٣)

يا أخي بردنا، فهل تعلم ما معنى البرد؟ البرد المطلق ٣٥٠ تحت الصفر، فلو لم يكن هناك شمس لكانت الحرارة ٣٥٠ تحت الصفر، فإذا كانت الحرارة صفراً فمعنى ذلك أن هناك شمساً، فلولاها لكانت ٣٥٠ درجة تحت الصفر قال الله:

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾

(سورة النبا الآية: ١٣-١٦)

﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ١٧)

ما الذي جعله يكفر

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ١٨-١٩)

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ١٩)

من حيوان منوي واحد من ثلاثمئة مليون حيوان باللقاء الزوجي، هذا الحيوان له رأس مدبب وله عنق وله ذيل حلزوني يمشي بالساعة ١٠ سم، هذا الرأس المدبب فيه مادة برأس الرأس مغطاة بغشاء رقيق جداً إذا لامس هذا الحيوان البويضة يتمزق الغشاء، وتخرج هذه المادة من رأسه فتزيل جدار البويضة ليُسمح له بالدخول، ومجرد أن دخل الحيوان يغلق الباب وانتهى الأمر، ثلاثمئة مليون لم يعد له عمل، البويضة تحتاج إلى حيوان منوي واحد، الآن تنقسم البيضة الملقحة حوالي عشرة آلاف قسم في طريقها من المبيض إلى الرحم، أما الحكمة البالغة في الإتيان أنه لو أن هذا الانقسام يرافقه زيادة في الحجم لعلقت في الطريق لأن الطريق بين البويضة وبين الرحم عبارة عن حبل، هذه البويضة الملقحة إذا زادت عن حجمها لوقفت في الطريق وسدته قال الله:

﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ١٧)

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ١٨)

أنت وشهادتك وذكائك ومؤلفاتك ومكانتك الاجتماعية وأعصابك ودماغك وعضلاتك وأجهزتك والغدة النخامية والغدة الدرقية والقلب والشرابين والدسامات والدماغ من أي شيء خلقه؟

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ١٩)

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ٢٠)

لو كان عظم الحوض أضيق من حجم الرأس ماذا تفعل؟ لو كان حجم الرأس بحجم الكتفين ماذا تفعل؟ لاحظ الطفل حجم رأسه بعرض كتفيه تماماً، تصميم خاص للخروج وبعد الخروج تعرض أكتافه، ولو كان رأس كبير وأكتاف عريضة كيف الخروج؟ " ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ " من جعل المرأة تفرز مادة هرمونية تحرك عظم الحوض فيتوسع ويأخذ وضعه الخاص أثناء الولادة من يحرك ذلك الهرمون؟ من الذي أعطى الأمر قبل ساعتين ليقالب الطفل؟ يكون وضعه رأسه نحو الأعلى فيأتي أمر هرموني ليقالب الطفل فيصبح رأسه نحو الأسفل، وإذا لم يقالب فالعملية أصبحت قيصرية فمن الذي جعله يقالب؟ الآن دور الرحم يفعل تقلصات مع ألم ولو لم يكن ألم والله بالطريق ولدت، فالألم المخاض ضرورية جداً من أجل الولادة، والرحم أقوى عضلة في النوع البشري، فلو أن الطريق أمام الطفل مفتوح لُقذف الطفل اثني عشر متراً تقلصات متزامنة لطيفة إلى أن يخرج الطفل، وإذا بالرحم يتقلص تقلصاً مفاجئاً ويصبح كالصخر تماماً لماذا؟ لأن ما يقرب من مئة ألف شريان تتقطع بمثل هذه العملية، ولو أنه يظل مرخياً تموت المرأة بالنزيف قال تعالى:

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ٢٠-٢٣)

حتى الآن لم يستقم؟ و حتى الآن لم يعرف الله عز وجل؟

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ٢٣)

من أوجه تفسيرات هذه الآية أنها استفهامية قال الله:

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾

(سورة عبس الآية: ٢٣)

إلى الآن ما صلّى من أجل أن تعرفه:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنبًا * وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

(سورة عبس الآية: ٢٤-٣٢)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

(سورة عبس الآية: ٢٤)

أنا أقول لكم الطعام يكفي قال الله:

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾

(سورة عبس الآية: ٢٥)

الأمطار.

﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾

(سورة عبس الآية: ٢٦)

الأرض شقت فخرج منها النبات قال الله:

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾

(سورة عبس الآية: ٢٧)

المحاصيل.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾

(سورة عبس الآية: ٢٨)

فواكه.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾

(سورة عبس الآية: ٢٩-٣٠)

الأزهار وحتى الآن لا تصلي، إذا لم تصلِ إذن دابة قال الله

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾

(سورة عبس الآية: ٣١)

قال لي أحدهم: كيف أن القمح مادة أساسية جداً في حياة الإنسان كذلك ساق القمح " التبن " مادة أساسية جداً لعلف الحيوان أي علاقتنا بالقمح كعلاقة الحيوان بالتبن تماماً؟

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

(سورة عبس الآية: ٣٢)

آيات الله المنيرة في الكون تدعو الإنسان إلى التفكير فيها لكي توصله إلى معرفة الله وشكره:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾

(سورة الفرقان الآية: ٦١)

هذه الشمس علقتها الله لك ساعة يدب عقربها إلى قيام الساعة، علقتها الله لك مناراً وعلقتها الله لك مدفأة، ولو أتيت بمدفأة للبيت كله ترى نفسك هل هذه تكفي؟ ما رأيك في مدفأة للأرض كلها فالشمس مدفأة

كونية ! وهل يُمكن أن تأتي ببلورة واحدة للبيت كله ؟ فإله جعل الشمس مصباحاً للأرض كلها، مدفأة ومصباحاً وساعة وجهاز تعقيم لكل الأرض قال الله:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾

(سورة الفرقان الآية: ٦١)

والقمر لطيف.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾

(سورة الفرقان الآية: ٦٢)

الليل قصير ثم طويل والليل مظلم والنهار مشرق والليل ساكن والنهار فيه ضجيج متفاوتان لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً، هذه الآيات التي ذكرتها قليلة فماذا أقول ؟ لو بقينا بالإنسان وبالنبات لا ننتهي، وخلايا الأوراق النباتية تتقارب في الصيف لتمنع التبخر وتتباعد في الشتاء، في عصر الجفاف تحافظ الورقة على اخضرارها وعلى مائها عن طريق تقارب الخلايا، وفي الشتاء رطوبة وافرة تتباعد من أجل التجديد هل تعلم ذلك ؟ أي حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء، وأردت من هذه الآيات أن أجعلها حصراً بل أجعلها أمثلة للتفكير والواحد ممّا يُفكر، ولا يتمتع الإنسان كما تتمتع البهائم، والذين كفروا يتمتعون كما قال عزّ وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمْتَعُونَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾

(سورة محمد الآية: ١٢)

أما الإنسان فإنه يفكر في كل شيء.

" الشمس والبرد من أنوار حكمته، والبر والبحر فيض من عطايه، والطير سبحة، والزرع قدسه، والموج كبره، والحوث نجاهه، والنمل تحت الصخور الصمّ مجدّه، والنحل يهتف حمداً في خلاياه ".
فالنحل: هناك نحلة للحراسة لا تسمح لنحلة أخرى بالدخول من دون كلمة السر وإلا قتلت، لذلك لو كان مليون نحلة بالربيع لا يمكن أن تذهب نحلة إلى غير خليتها نظام بديع، ونحلات عاملات مهمتهن تنظيف الخلية فكل شيء غريب تأخذه وتلقيه خارج الخلية، أما لو دخلت فأرة مثلاً لا يمكنهم حملها تفرز عليها مادة شمعية لتمنع تفسخها، وهذا عمل النحلات المنظفات، ونحلات حارسات، و نحلات للتهوية يغلقن الأبواب أثناء البرد، ويهوين بأجنحتهن أثناء الحر، ونحلات لصناعة خلايا العسل، والنحلة الملكة تكون حاملاً، وهناك مجموعة أماكن للوضع، تدخل لهذا المكان فتضع ملكة ثانية، وهنا تضع ذكراً وهنا تضع عاملة، وتعرف الملكة الحامل سلفاً نوع الجنين، والآن إذا أحضرنا واحدة وقمنا بتدريسها في الطب

النسائي والولادة بالذات، وأتاها زوج وحملت وعلى مشارف الولادة هل تعلم هذه الدكتوراة ماذا في بطنها؟ إنها دكتوراة لا تعرف، أما هذه الملكة فتعرف نوع المولود وتضعه في مكانه المناسب، وكل نقطة من الرحيق مأخوذة من ألف ومئة زهرة، وكل مئة غرام من الرحيق مأخوذة من مليون زهرة، وكيло العسل الواحد هو محصلة طيران أربعمئة ألف كيلو متر، أي حول الأرض عشر مرات فكيло العسل ليس غالباً على هذا الجهد المبذول، وهذا ليس ثمنه بل هذا ثمن العناية بالنحلات فقط، النحلة تحمل رحيقاً ثلثي وزنها أما الشاحنة فما وزنها؟ ثلثي وزنها حمولة هذه واحدة، سرعتها خمسة وستون كيلو متراً في الساعة هذه النحلة مثل السيارة وهي فارغة، أما محملة فسرعتها خمسة وثلاثون، تعمل النحلة رقصة تُعلم النحلات إن كان المكان بعيداً، أما إذا كان قريباً في رقصة على بُعد خمسة كيلو مترات، وفي رقصة عشرين كيلو متر تقوم بتبنيها أن الرحلة طويلة وهذا رقص النحل، فعند النحلة نظام تعجز عنه المجتمعات البشرية المتقدمة، إبرة الملكة لا تلدغ بها إنساناً إطلاقاً لكنها تلدغ ملكة أخرى نافستها على قيادة هذه الخلية نظام من العجب العجاب، يوجد نحلات مهمتهن تقديم الغذاء للملكة، تأخذ غبار الطلع وتقوم بعجنه برحيق الأزهار وتقدمه وجبات غذائية دسمة جداً للملكة، وهو طعام خاص ما هذا؟

﴿ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: ٨٨)

عالم النمل و الحشرات و الجراثيم كلها فيها أشياء عجيبة، وأعماق البحار فيه كائنات لا يعلمها إلا الله، مليون نوع من السمك في البحر، وعالم الأطيوار هذا الطير يقطع سبعة عشر ألف كيلو متر رحلته فهناك طيور تُهاجر من أمريكا الشمالية إلى أمريكا الجنوبية تقطع هذه المسافة، تطير سنّاً وثمانين ساعة طيراناً من دون توقف، أحضر لي أعظم طائرة في العالم هل تطير هذه المدة من دون توقف؟ الحمام بحثه طويل جداً وقد جعلت عنه خطبة في جامع الجسر إنه يأخذ بالألباب قال الله:

﴿ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

(سورة النمل الآية: ٨٨)

أشعر أنني ما قدمت شيئاً، ولم أقدر أن أقدم شيئاً عن عظمة الله عزّ وجل، لكن العلم حرف والتكرار ألف وكل واحد لوحده يُفكر أيضاً.